



الفصل الرابع

توحيد الأسماء والصفات

توحيد الأسماء والصفات

ومعناه: الإيمان بما أثبتته الله تعالى لنفسه في كتابه وأثبتته له رسوله ﷺ في سنته من الأسماء الحسنى والصفات العلى، من غير تحريف ألفاظها أو معانيها، ولا تعطيلها بنفسها أو نفي بعضها عن الله عز وجل، ولا تكييفها بتحديد كُنْهها، وإثبات كيفية معينة لها، ولا تشبيهها بصفات المخلوقين^(١).

أولاً: الأسس التي يقوم عليها توحيد الأسماء والصفات:

إن توحيد الله سبحانه وتعالى في أسمائه وصفاته يتطلب التقيد في ذلك بكتاب ربنا وبسنة رسولنا ﷺ فلا نصنع له اسماً أو صفة ليست واردة في المنهلين ولا نشبهه بأحد من خلقه فهو سبحانه متصف بكل كمال، منزّه عن كل نقص: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. وعلى ذلك فيمكن أن نذكر هذه الأسس:

١- إن أسماء الله تعالى وصفاته توقيفية فلا نثبت لله تعالى ولا ننفي عنه إلا بدليل من الكتاب أو السنة إذ لا سبيل إلى سبيل ذلك إلا من هذا الطريق.

٢- وأن الإيمان بأن الله تعالى لا يشبه أحد من خلقه في أسمائه ولا صفاته كما لا يشبهه أحد من خلقه، وإن سُمِّيَ أو وصف أحدٌ من المخلوقين بتلك الأسماء والصفات فذلك اشتراك في اللفظ لا يوجب مماثلة المخلوقين له فيها دلت عليه هذه الأسماء والصفات، فأسماء الله تعالى وصفاته على ما يليق به سبحانه وتعالى، وما يسمى به من المخلوقين أو يوصف من ذلك فعلى ما يليق بالمخلوق نفسه، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

٣- وأن صفات الله كلها صفات كمال، فله سبحانه الكمال المطلق وهو المنزه عن كل نقص، ومما ينبغي معرفته في الإيمان بأسماء الله وصفاته أن يقطع الطمع في كیفيتها وألا

(١) الإيمان د. محمد نعيم ياسين ص ٢٧.

يسأل عن ذلك، إذ لا يسأل عن صفات الله تعالى بكيف وأن يعلم مع ذلك ويعتقد أن هذه الصفات معلومة المعنى، فلم يخاطب الله تعالى عباده ويتعبد بهم بأمور لا يعلمون معناها، ولهذا قال الإمام مالك وغيره من علماء الأمة لمن سأل عن كيفية استواء الله تعالى على عرشه: الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة^(١). وقال ربيعة شيخ مالك قبله: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، ومن الله البيان، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا البيان^(٢).

ثانياً: أدلة هذا النوع من التوحيد:

لا تخلو سورة من سور القرآن الكريم من ذكر اسم من أسماء الله تعالى أو صفة من صفاته ومن ذلك سورة الإخلاص فهي بكاملها عن أسماء الله وصفاته، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص]. ففي هذه السورة وصف الله سبحانه وتعالى نفسه بأنه أحد صمد، فهذان الوصفان يدلان على اتصاف الله بغاية الكمال المطلق^(٣)، ومعنى الصمد: أنه المستغني عن كل أحد والمحتاج إليه كل أحد. وهذا المعنى يدل على الإثبات والتنزيه، فالإثبات بوصفه سبحانه بأنه هو الذي يصمد إليه أي يرجع إليه في كل أمر وذلك لأنه هو المتصف بجميع صفات الكمال، فهو القادر على كل شيء والفعل لما يريد والذي بيده الخلق والأمر والجزاء، وما من قوة لغيره تعالى إلا بهيمنة منه إذا شاء أبقاها ومتى شاء سلبها فالمرجع والمراد إليه سبحانه^(٤). وأما التنزيه: فبوصفه تعالى بأنه غني عن كل شيء فلا افتقار فيه بوجه من الوجوه، لا في وجوده، فإنه الأول الذي ليس قبله شيء وهو الذي لم يلد ولم يولد، ولا في بقائه فإنه الذي يُطعم ولا يُطعم، ولا في أفعاله فلا شريك له ولا ظهير^(٥)، كما أن وصفه سبحانه بأنه أحد صمد يدل على اتصافه بالكمال المطلق فكذلك يدلان على معنى آخر وهو نفي الولادة والتوليد عن الله سبحانه، قال تعالى: ﴿قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ أَخْخَذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

(١) فتاوى ابن تيمية (٥٨/٣).

(٢) المصدر نفسه (٥٨/٣)، حماية الرسول صلى الله عليه وسلم ٢٥٥.

(٣) علو الله على خلقه ص ٢٨ بتصرف.

(٤) المصدر نفسه ص ٢٨، ٢٩.

(٥) المصدر نفسه ص ٢٨، ٢٩.

وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ [الأنعام: ١٤]. وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿١﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ﴿٢﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨].

فإن الأحد هو الذي لا كفاء له ولا نظير فيمتنع أن تكون له صاحبة ولا ولد، قال تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٠١].

وفي هذا نفي عن المخلوقات مكافأته أو مماثلته للخالق ومثل ذلك قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١]، أي يعدلون به غيره فيجعلون له من خلقه عدلاً ونظيراً^(١)، ومثال هذا قوله تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مریم: ٦٥]. أي لا شيء يساميه لا ند ولا عدل ولا نظير له يساويه، فأنكر التشبيه والتمثيل وبهذا يتبين لنا أن تنزيهه سبحانه عن العيوب والنقائص واجب لذاته كما دلت على ذلك سورة الإخلاص^(٢).

ثالثاً: أسماء الله الحسنى:

لربنا تبارك وتعالى أسماء سمى بها نفسه منها ما أنزله في كتابه، كالأسماء الموجودة في القرآن، ومنها ما علمه الله تعالى بعض خلقه من الأنبياء والمرسلين أو الملائكة المقربين أو ما شاء الله تبارك وتعالى، ومن أسمائه سبحانه ما استأثر به في علم الغيب عنده فلا يعلمه أحد، وذلك أن الله تعالى من معاني العظمة ما لا تستطيع المخلوقات إدراكه، لأنه الإله الحق المبین، له الجمال المطلق، والكمال المطلق، والجلال المطلق، والعظمة التامة، والقدرة الكاملة، فله تعالى أسماء وصفات لا يحيط بها إلا هو سبحانه وتعالى.

١ - أسماء الله تبارك وتعالى كثيرة، بل كما قال ربنا عز وجل: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩]،

(١) من عقيدة المسلمين في صفات رب العالمين ص ٦٢.

(٢) المصدر نفسه ص ٦٢.

وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّهَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: ٢٧]. فله عز وجل من معاني الحمد والمجد، والكمال والعظمة والقوة والقدرة والسلطان ما لا يحيط به بشر، ولا يدركه عقل، ولا يقف عند منتهى كُنْه إدراك، وهذا الحديث لا يعني قصر الأسماء الحسنى على التسعة والتسعين، بل إن النبي ﷺ قال في الحديث الصحيح - الذي رواه ابن مسعود رضي الله عنه - مناجياً وداعياً ربه تبارك وتعالى:- (اسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك)^(١).

وذكر في حديث الشفاعة أنه يسجد ﷺ تحت العرش، فيفتح الله عليه بمحامد يعلمها له، لم يكن يعلمها من قبل^(٢).

٢- أسماء الله تبارك وتعالى توقيفية فلا يحق لأحد من الناس أن يخترع لله تعالى اسماً، وإنما أسماؤه سبحانه ما جاء في القرآن أو السنة بصفة الاسم، مثل: الخالق، الباري، المصور، الملك، القدوس، السلام، العزيز، الحكيم، العلي، العظيم، المؤمن، المهيمن.

٣- من أسماء الله الحسنى ما يختص به سبحانه، فلا يجوز أن يُسمَّى بها غيره وهي «الرَّحْمَنُ» «الله» ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾ [الإسراء: ١١٠]، ولهذا لا يتسمى أحد بهذين الاسمين من المخلوقين قط إلا قصمه الله تعالى، ف«الله» و«الرَّحْمَنُ» من الأسماء التي لا يُسمَّى بها أحد إلا الله عز وجل^(٣).

٤- من أسماء الله عز وجل ما يجوز أن يذكر وحده منفرداً، كالعزيز، والحמיד، والحكيم، والرحيم، والعليم، والخبير، والبصير.. وما أشبه ذلك، فتناديه بها وتدعوه بها، وتعرفه سبحانه، ومن الأسماء ما لا يُذكر إلا مع نظيره، بأن تصف الله تبارك وتعالى بأنه هو «الضار النافع» أو «القابض الباسط» وما أشبه ذلك من الأسماء التي تكون متقابلة، فلو وصفت ربك تبارك وتعالى بأنه الضار فحسب، أو القابض فحسب لكان هذا مؤمهاً لمعنى لا يليق بمجد الله وكرمه وعظمته وكماله وقديسيته، لهذا لا تُذكر هذه الأسماء

(١) مسند أحمد رقم ٣٧١٢، الحاكم (٥٠٨/١).

(٢) البخاري رقم ٧٤١٠، مسلم رقم ١٩٣.

(٣) مع الله ص ٢٤.

منفردة، وإنما تذكر مع نظيرها ومقابلها.

٥ - معنى الإحصاء في قوله ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسمًا، مائة إلا واحدًا، من

أحصاها دخل الجنة» يشمل أمورًا منها:

أ - معرفة هذه الأسماء وحفظها، بحيث يستطيع الإنسان أن يعدها عددًا، وقد اعتنى جماعة من أهل العلم بعد هذه الأسماء، كالزجاج وابن منده، وابن حزم وأبي حامد الغزالي وابن العربي والقرطبي، وغيرهم من المصنفين والعلماء الذين اعتنوا بذكر هذه الأسماء وتعدادها واستخراجها من القرآن والسنة النبوية الصحيحة، وهذا داخل في معنى إحصاء أسماء الله الحسنى، وفضل عظيم للإنسان أن يكون عنده إلمام ومعرفة بأسماء الله عز وجل، وأن يتلوها، وأن يدعو الله^(١) بها.

ب - من معاني إحصائها، معرفة معانيها، فإن هذه الأسماء ليست أسماء رمزية ولا وهمية، ولا جامدة، ولا غامضة المعنى، وإنما هي بلسان عربي مبين، أريد من الإنسان أن يتفهم معانيها، حتى تكون تلاوتها لها ذات معنى وليس مجرد ترديد لألفاظ لا نفقه ما وراءها وهذا بحد ذاته مكسب عظيم، يبارك النفس ويزكيها ويرتقي بالقلب والعقل والروح.

ج - الإلحاح بالدعاء لله عز وجل بهذه الأسماء، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

إن الله تبارك يجب أن يدعى بها ولهذا قيل:

لا تسألن بُنْيَّ آدم حاجة وسل الذي أبوابه لا تُحجب
الله يغضب إن تركت سؤاله وبُنْيَّ آدم حين يُسأل يغضبُ

فندعو الله بأسمائه الحسنى باعتدال وذلك بأن تدعو الله تعالى وتساله وترجوه فيما أَلَمَّ بك من أمر دنياك وآخرتك مما تحب وترجو، أو مما تخاف وتكره، أو تدعوه بهذه الأسماء باستحضار معانيها، وتأملها وتدبرها والتعبد، بمقتضياتها، والتسبيح والتحميد والتهليل

(١) مع الله ص ٢٦.

والتكبير والصلاة والذكر والاستحضار^(١).

د- استحضار معاني تلك الأسماء، فإن شر ما يُبتلى به الناس: الغفلة والاستغراق في ماديّات الحياة والانسياق وراء صوارفها وخير دواء للقلوب هو استحضار عظمة علّام الغيوب، والتدرج بالنفس في مراقبي معرفته والإيمان به سبحانه، حتى تصل درجة: أن تعبد الله كأنك تراه^(٢)، فهذا يزيد المرء إقبالاً على الطاعة وحفاوة ونشاطاً، كما قال سبحانه: ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ۖ وَتَقْلَبُكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٨، ٢١٩]. كما أن استشعار معاني هذه الأسماء يزيد المؤمن إعراضاً عن المعصية وزهداً فيها وإسراعاً في الإقلاع عنها، وقوة في التوبة والأوبة لما يحسُّ به من وحشة القلب والبعد عن الرب، ولما يحاذره ويستشعره من غضبه أو عتبه أو مؤاخذته سبحانه للعبد على إقامته على الذنب^(٣).

إن من خير ما تورثه تلك الأسماء الصفاء والسكينة والوئام، والإحجام عن الناس، والتواضع لذي الجلال، إلى سعة العقل والفهم والإدراك، ولعلّ من إحصائها ألا تتحول إلى مادة للخصام أو الجدل الأكاديمي، الذي لا يثمر معرفة قلبية، على أن البحث العلمي الهادئ مطلب لا بدّ منه لمن أراد سلوك الطريق^(٤).

رابعاً: الصفات الإلهية:

تنقسم الصفات الإلهية إلى عقلية وخبرية وإلى ذاتية وفعلية اختيارية، فالصفات العقلية والخبرية جاء بها القرآن وتحدثت بها السنة.

١ - فالصفات العقلية: هي التي يمكن أن يستدل عليها بالعقل فطريق إثباتها السمع والبصر، كالعلم والقدرة والإرادة والحياة والسمع والبصر والكلام والرحمة والحكمة والعلو ونحوها^(٥).

٢ - والصفات الخبرية: وهي التي لا يستطيع العقل إدراكها من غير طريق

(١) مع الله ص ٢٧.

(٢) المصدر نفسه ص ٢٨.

(٣) المصدر نفسه ص ٢٨.

(٤) المصدر نفسه ص ٢٨.

(٥) علو الله على خلقه ص ٥٩، ٦٠، ٦١.

النصوص، فطريق إثباتها ورود خبر الصادق بها فقط، وذلك كالوجه واليدين والعين، والاستواء على العرش ونحو ذلك^(١)، فهذه الصفات الخبرية يجب الإيمان بها كالعقلية من غير تمثيل ولا تعطيل ولا تحريف ولا تكييف^(٢)، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

٣- صفات ذاتية: لا تنفك عنها الذات، بل هي لازمة لها أزلاً وأبداً وذلك كالحياة والعلم والقدرة والقوة والملك والعظمة والكبرياء والمجد والعلو والجلال والوجه^(٣) وغيرها.

٤- صفات فعلية: تتعلق بها مشيئته وقدرته كل وقت وآن، وتحت مشيئته وقدرته آحاد تلك الصفات من الأفعال، وإن كان هو سبحانه لم يزل موصوفاً بالفعل بمعنى أن نوع الأفعال قديم وأفرادها حادثة، فهو سبحانه لم يزل فعالاً لما يريد ولم يزل ولا يزال يقول ويتكلم ويخلق ويدبر الأمور، وأفعاله تقع شيئاً فشيئاً تبعاً لحكمته وإرادته، ومثل هذا الاستواء على العرش والمجيء والإتيان والنزول إلى السماء الدنيا والضحك والرضا والغضب والكراهية والمحبة والخلق والرزق والإحياء والإماتة وأنواع التدبير^(٤).

وأفعاله سبحانه وتعالى منها اللازم ومنها المتعدي، فالاستواء والمجيء والنزول ونحو ذلك أفعال لازمة لا تتعدى إلى مفعول، بل هي قائمة بالفاعل، والخلق والرزق والإماتة والإحياء والإعطاء والمنع ونحو ذلك تتعدى إلى مفعول^(٥)، وقد جمع الله بينهما في قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٩]، فذكر الفعلين المتعدي واللازم وكلاهما حاصل بمشيئته وقدرته وهو متصف بها سبحانه، كما يجب التنبيه أيضاً إلى أن من صفاته سبحانه وتعالى ما يأتي: صفة ذات وصفة فعل وذلك مثل صفة الكلام، والخلق والرحمة^(٦).

(١) علو الله على خلقه ص ٦٠.

(٢) المصدر نفسه ص ٦١.

(٣) المصدر نفسه ص ٦٥.

(٤) شرح العقيدة الوسطية ص ١٠٥-١٠٦.

(٥) علو الله على خلقه ص ٦٦.

(٦) المصدر نفسه ص ٦٦.

وقد دلت الآيات والأحاديث على اتصاف الله بالصفات الذاتية والفعلية، قال تعالى: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾ [الأعراف: ١١]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩]، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١]، وحديث أبي هريرة قال: أتى رسول الله ﷺ بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهش منها نهشة ثم قال: أنا سيد الناس يوم القيامة إلى أن قال: فيأتون آدم عليه السلام فيقولون له: أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه، ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول: آدم إن ربي قد غضب غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله^(١). وعلينا إثبات جميع ما ورد به الكتاب والسنة من الصفات بلا تحريف ولا تعطيل وبلا تشبيه ولا تمثيل^(٢).

أ- بعض الصفات الذاتية:

- صفة الحياة: إن الله تعالى له الحياة الدائمة التامة التي لا يعترئها، نقص بوجه من الوجوه، ولهذا قال: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾. وصفة الحياة ثابتة بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية، فالآيات منها قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقوله تعالى: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [غافر: ٦٥]، وقوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]. وأما الأحاديث، فمنها حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن رسول الله ﷺ كان يقول: «اللهم لك أسلمت، وبك آمنت وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، أعوذ بعزتك، لا إله إلا أنت أن تضلني، أنت الحي الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون»^(٣). ومن معاني (الحي) أن حياته صفة ذاتية بخلاف

(١) صحيح البخاري (٢٨٦/٤) ك التفسير.

(٢) علو الله على خلقه ص ٦٩.

(٣) مسلم رقم ٢٧١٧.

المخلوقين، فإن حياتهم من فضل الله عز وجل عليهم ومعيشتهم من عطائه وجوده وكرمه، فالله تعالى متصف بالحياة وهي صفة لذاته جل وعلا. ومن معانيها أيضا أنه يمنح الحياة للأحياء في الدنيا، ويمنح أهل الجنة حياتهم الأبدية الأزلية السرمدية التي لا زوال لها، بل هي خلود أبدي بلا موت ولا فناء^(١).

صفة العلم: والعلم يقتضي نفي الجهل، وعلمه سبحانه علم شامل كامل محيط بالماضي والحاضر والمستقبل، وعلم مطابق للواقع، قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]، قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. وقال تعالى: ﴿لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ [النساء: ١٦٦].

فالله سبحانه وتعالى أحاط بكل شيء علما ووسع كل شيء رحمة وحرمة لا يخفي عليه شيء في الأرض ولا في السماء ﴿مَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]. وكما أن علمه لا يسبقه جهل فلا يلحقه نسيان ﴿لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [طه: ٥٢]. وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾ [الأعراف: ٧]، وهو يعلم الدقائق والتفاصيل والظواهر والبواطن، والكيليات والجزئيات، والمعاني والماديات، ولقد كتب مقادير كل شيء في كتاب عنده، ولذا يقول سبحانه: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

فهذا العلم يوجب الخشية منه وتعظيمه، ولذا قيل، من كان بالله أعرف كان منه أخوف. ويوجب مراقبته، لأن كل شيء بعلمه وسمعه وبصره وتحت سلطانه.

ويوجب محبته لأنه كمال العلم محبوب للنفوس الشريفة التواقة، ويوجب محبة العلم والسعي فيه وتحصيله والتلذذ به، لأن الله يحب العلم والعلماء ويكره الجهل والجهلاء، ويوجب الصبر على التعلم وذله، لأنه عبادة، وكذلك علم الدنيا والكون والإنسان، وألوان المعارف الإنسانية هي محبوبة. وعلم الشريعة والوحي والآخرة محبوب، لأنه يثمر المعرفة به والقربى منه ومعرفة ما يريد وما يجب وما يكره سبحانه وتعالى، وكذلك علم الدنيا والكون والإنسان، وألوان المعارف الإنسانية هي محبوبة لأنها تزيد العبد بصيرة

(١) مع الله ص ٢١٦.

بخلق الله وقدرته وحكمته وعظمته وتيسر الانتفاع بهذا الكون ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣].

إن صفة العلم مستمدة من اسمه العليم، وهذا الاسم الشريف العظيم يولد في النفس تسليماً لما يفعله الله في كونه، وأنه بعلمه وإرادته وحكمته، فالحكمة هي العلم، والقدرة هي قرين العلم ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [التحريم: ٢] ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ [الروم: ٥٤]، فكل شيء بقدر وكل قدر بحكمة ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١١].

إن الإيمان بالرب (العليم) يجعل العبد أقرب إلى ربه وأكثر استشعاراً لمعيّته.
قال الشاعر:

هو العليم أحاط علماً بالذي في الكون من سر ومن إعلان
وبكل شيء علمه سبحانه قاصي الأمور لديه قبل الداني
لا جهل يسبق علمه كلا ولا ينسى كما الإنسان ذو نسيان^(١)

صفة القدرة: التقدير سبحانه هو كامل القدرة، فبقدرته أوجد الموجودات، وبقدرته دبرها، وبقدرته سواها وأحكمها، وبقدرته يحيي ويميت ويبعث العباد للجزاء، وبقدرته سبحانه يقلب القلوب على ما يشاء ويريد^(٢). قال تعالى: ﴿بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾ [القيامة: ٤]. وقال: ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ أَنْ نُرِيكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ﴾. ومن السنة المطهرة حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة كما يعلمنا السورة من القرآن، يقول: «إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل: اللهم إني استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك»^(٣).

صفة الإرادة: الإرادة والمشيئة بمعنى واحد، فالإرادة التي تعني المشيئة هي الإرادة الكونية وأما الإرادة الشرعية فتختلف عن الإرادة الكونية وسيأتي الحديث عنها مفصلاً

(١) مع الله ص ١٢١.

(٢) المصدر نفسه ص ٢٣٥.

(٣) البخاري شرح الباري (١٣/٣٨٧).

بإذن الله لاحقاً. والآيات والأحاديث في بيانها كثيرة جداً منها قوله تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]. وأما الأحاديث فمنها حديث معاوية رضي الله عنه قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»^(١).

إثبات صفة السمع والبصر: والمعلوم والمقدر عند أهل السنة أن السميع لا يكون إلا بسمع، والبصير لا يكون إلا ببصر وكما لا يكون القدير والحكيم إلا بقدرة وحكمة^(٢). والآيات في إثبات صفتي السمع والبصر كثيرة، والأحاديث أيضاً، ولذلك سنستدل ببعض الآيات قال تعالى: ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [غافر: ٥٦]، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾.

إثبات صفة الكلام: أهل السنة متفقون على أن الله يتكلم بمشيئته، وأنه لم يزل متكلماً إذا شاء وكيف شاء^(٣)، قال تعالى: ﴿مَنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وقال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]. فله عز وجل من صفاته صفة الكلام وهي صفة قائمة به غير بائنة عنه، لا ابتداءً لا تصافه بها ولا انتهاءً، يتكلم بها بمشيئته واختياره وكلامه تعالى أحسن الكلام، ولا يشابهه كلام المخلوقين، إذ الخالق لا يقاس بالمخلوق ويكلم به من شاء وبغيرها ويسمعه على الحقيقة من شاء من ملائكته ورسله، ويسمعه عباده في الدار الآخرة بصوت نفسه، كما كلم موسى وناداه حين أتى الشجرة بصوت نفسه فسمعه موسى، كما أن كلامه تعالى لا يشبهه كلام المخلوقين فإن صوته لا يشبه أصواتهم، وكلماته تعالى لا نهاية لها ومن كلامه القرآن والتوراة والإنجيل، فالقرآن كلامه، سوره وآياته وكلماته^(٤)، والقرآن الكريم غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود فهو كلام الله وحروفه ومعانيه، والدليل أنه من كلام الله قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ

(١) البخاري رقم ٧١، مسلم رقم ٣٧.

(٢) من عقيدة المسلمين ص ٧٢.

(٣) المصدر نفسه ص ٧٣.

(٤) من كتاب العقيدة السلفية في كلام رب البرية ص ٦٣.

اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ﴿[التوبة: ٦].

والقرآن منزل من عند الله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ﴾ [الفرقان: ١]
والقرآن غير مخلوق، والدليل قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] فجعل
الأمر غير الخلق والقرآن من الأمر لقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾
[الشورى: ٢٢]، وقوله: ﴿ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنزَلَهُ إِلَيْنَا﴾ [الطلاق: ٥].

علو الله على خلقه: إن الله تعالى وصف نفسه بالعلو في السماء ووصفه بذلك محمد
خاتم الأنبياء وأجمع على ذلك جميع العلماء من الصحابة الأتقياء والأئمة الفقهاء وتواترت
الأخبار بذلك على وجه حصل به اليقين وجمع الله عليه قلوب المسلمين، وجعله مغرورًا
في طباع الخلق أجمعين؛ فتراهم عند نزول الكرب بهم يلحظون السماء بأعينهم ويرفعون
نحوها للدعاء أيديهم وينتظرون مجيء الفرج من ربهم وينطقون ذلك بألسنتهم، لا ينكر
ذلك إلا مبتدع غال في بدعته أو مفتون بتقليده واتباعه على ضلالته^(١)، قال تعالى: ﴿تَعْرِجُ
الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨]،
وجميع معاني العلو ثابتة له سبحانه علو الذات، وعلو القدرة، وعلو القهر والغلبة، وعلو
الحجة، فهو علو ذات وعلو صفات، ولذا وصف نفسه بأنه ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ
اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، فالعلو الكامل له وحده سبحانه، والعلو الدائم له وحده سبحانه ولهذا
قال النبي ﷺ: «حق على الله أن لا يرتفع شيء من الدنيا إلا وضعه»^(٢). ومن علوه أن
جعل الرفعة والعلو لكتابه ولدينه ولأوليائه الصادقين كما قال تعالى: ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ
أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ [طه: ٦٨]، وقال: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ﴾ [الزخرف: ٤] وقال
ﷺ: «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا ويضع به آخرين»^(٣). ومع علوه سبحانه فهو قريب
محيب سميع، ولذا يناديه العبد نداءً خفيًا ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ [مريم: ٣]. ويخبر عن
نفسه أنه يسمع السر وأخفى، والسر ضد الجهر، وما هو أخفى من السر فهو الخطرات
التي لا يعيها صاحبها، ولا يدركها، والمعاني المكنونة لا يحيط المرء بها حتى عن نفسه

(١) اثبات صفة العلو للمقدسي ص ٦٣.

(٢) البخاري رقم ٢٨٧٢.

(٣) مسلم رقم ٨١٧.

وذااته، فهناك عالم الأسرار وهناك عالم اللا شعور واللاوعي، وهناك الخفايا الخلقية التي لم يصل إليها العلم، وهناك الخفايا المستقبلية، فهو مع علوه وإستوائه على عرشه محيط بذلك كله، لا تحفى عليه خافية ولذا سمى نفسه بذى المعارج ﴿مَنْ اللَّهُ ذِي الْمَعَارِجِ﴾ وفسره بقوله: ﴿تَعْرِجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤] وذكر نزول الملائكة والروح ونزول الوحي، كما ذكر ارتفاع الأشياء وصعودها إليه ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠] ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨]

قال الشاعر:

إذا ضاقت بك الأحوال يوماً فثق بالواحد الصمد العلي^(١)

إثبات صفة الوجه: ثبت لله صفة الوجه بدون تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل وهو وجه يليق به سبحانه، قال تعالى: ﴿وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧] وقال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨] وقول النبي ﷺ: «إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها»^(٢).

إثبات صفة اليدين: قال تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، وقال تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥].

وقال ﷺ: «إن المقسطين على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل وكلتا يديه يمين، والذين يعدلون في أهلهم، وحكمهم، وما ولوا»^(٣).

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى في صفة اليد الأفراد والتثنية والجمع، ففي الأفراد مثل قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ [الملك: ١]، وفي التثنية كقوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، وفي الجمع كقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا﴾ [يس: ٧١]. والتوفيق بين هذه الوجوه أن نقول: الوجه الأول مفرد مضاف فيشمل كل ما ثبت لله من يد ولا ينافي التثنية وأما الجمع فهو للتعظيم لا لحقيقة العدد الذي هو

(١) مع الله ص ١٥٠.

(٢) البخاري، ك الجنائز، باب رثاء سعد (١٠٣/٢).

(٣) مسلم ك الإمارة (١٤٥٨/٣).

ثلاثة فأكثر وحينئذ لا ينافي الثنية على أنه قد قيل إن أقل الجمع اثنان، فإذا حمل الجمع على أقله فلا معارضة بينه وبين الثنية أصلاً^(١).

إثبات صفة العين: وإثبات صفة العين على ما يليق بالله تعالى ولا يفهم منها أن العين لله جارحة كأعيننا بل له سبحانه وتعالى عين حقيقية تليق بعظمته وجلاله وقدمه وللمخلوق عين حقيقية تناسب حاله وحدوثه وضعفه وهذا شأن جميع الصفات التي فيها المشاركة اللفظية مع صفات المخلوق^(٢)، والعين صفة لله تعالى بلا كيف، وهي من الصفات الخبرية الذاتية، قال تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ [طه: ٣٩]، وذكر العين مفردة لا يدل على أنها عين واحدة فقط لأن المفرد المضاف يراد به أكثر من واحد مثل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ [ابراهيم: ٣٤]، وقال تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤]، وهنا ذكرت بصيغة الجمع مضافة إلى ضمير الجمع^(٣).

إثبات صفة النفس: قال تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦]، وقال ﷺ: «يقول أنا مع عبدي حين يذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم»^(٤). فالله جل وعلا أثبت في كتابه أن له نفساً وكذلك قد بين على لسان نبيه ﷺ أن له نفساً كما أثبت النفس في كتابه، ونثبتها له على الوجه اللائق به^(٥).

ب- بعض الصفات الخبرية:

إثبات استواء الله على عرشه، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُعْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الاعراف: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بُذُوبَ

(١) لمعة الاعتقاد ص ٥٠.

(٢) الصفات الإلهية ص ٣١٩.

(٣) من عقيدة المسلمين ص ٨٢.

(٤) البخاري، ك التوحيد، رقم ٧٤٠٥.

(٥) لمعة الاعتقاد لابن قدامة ص ٥١.

عِبَادِهِ خَيْرًا ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَيْرًا﴾ [الفرقان: ٥٨، ٥٩].

ويجب إثبات استواء الله على عرشه من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، وهو استواء حقيقي معناه العلو والاستقرار على وجه يليق بالله تعالى^(١). ولما سئل مالك بن أنس عن قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا ضالاً وأمر أن يخرج السائل من المجلس^(٢). وأكثر من صرح بأن الله مستو بذاته على عرشه أئمة المالكية، فصرح أبو محمد بن أبي يزيد في ثلاثة مواضع من كتبه أشهرها الرسالة، وفي كتاب جامع النوادر وفي كتاب الآداب، وصرح بذلك القاضي أبو بكر الباقلاني وكان مالكيًا وصرح به أبو عبد الله القرطبي في كتاب الأسماء الحسنى وكذلك أبو عمر بن عبد البر والظلمنكي وغيرهما من الأندلسيين وغير ذلك من السادة المالكية^(٣).

إن كتاب الله عز وجل من أوله إلى آخره وسنة رسوله ﷺ وعامة الصحابة والتابعين وكلام سائر الأئمة، مملوء بما هو نص أو ظاهر في أن الله سبحانه وتعالى فوق كل شيء وأنه فوق العرش وفوق السماوات مستو على عرشه^(٤).

صفة المجيء: قال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]، قال تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢١٠]. ويجب إثبات المجيء من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل وهو مجيء حقيقة يليق بالله تعالى^(٥).

صفة الرضا: قال تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩].

صفة المحبة: قال تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤].

صفة الغضب: قال تعالى: ﴿وَعَظِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ﴾ [النساء: ٩٣].

(١) لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد ص ٦٢.

(٢) شرح حديث النزول لابن تيمية، عقيدة المسلمين ص ٨٦.

(٣) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة ص (١٣٤/٢).

(٤) اجتماع الجيوش الإسلامية ص ٩٦.

(٥) لمعة الاعتقاد ص ٥٢.

صفة السخط: قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهُ﴾ [محمد: ٢٨].

صفة الكراهة: قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٦].

فصفة الرضا، والمحبة والغضب والسخط والكراهة صفات ثابتة لله عز وجل من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، فهي على ما يليق به عز وجل، وكذلك صفة الغيرة، والفرح والضحك، فقد جاء ذكرها في أحاديث نبوية صحيحة.

ج - بعض الصفات التي تطلق في باب المقابلة:

ورد في القرآن الكريم أفعال أطلقها الله عز وجل على نفسه على سبيل الجزاء والعدل والمقابلة وهي فيما سقت فيه مدح وكمال ولكن لا يجوز أن يشتق الله تعالى منها أسماء، ولا تطلق عليه في غير ما سقت فيه من الآيات كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَكْرُؤٌ وَّمَكْرٌ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ٥٤]، وقوله تعالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧]. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ﴾ [البقرة: ١٤، ١٥]. فلا يطلق على الله لفظ مخادع، ماکر، ناس، مستهزئ، ونحو ذلك تعالى الله عنه علواً كبيراً، ولا يقال: الله يستهزئ ويخادع ويمكر، وينسى على سبيل الإطلاق، وقد أخطأ الذين عدوا ذلك من أسمائه الحسنی خطأ كبيراً، لأن الخداع والمكر يكون مدحاً ويكون ذمّاً، فلا يجوز أن يطلق على الله إلا مقيداً بما يزيل الاحتمال المذموم منه كما ورد مقيداً في الآيات^(١).

د - الله ينزه عن كل صفة نقص:

ينزه الله عز وجل عن الغفلة والنسيان بأي وجه من الوجوه، لأنه عالم الغيب والشهادة وعلمه محيط بكل شيء، فلا يعرض له ما يعرض لعلم المخلوق من خطأ بعض المعلومات أو نسيانها والذهول عنها، قال تعالى: ﴿عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ [طه: ٥٢]، ومنزه عن الاحتياج إلى الرزق والطعام لأنه هو الرزاق لجميع الخلق الغني عنهم وكلهم فقراء إليه، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [ما

(١) معارج القبول (١/ ٧٦).

أُرِيدُ مِنْهُمْ مِّن رَّرْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونَ ﴿٥٦﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٧﴾ [الذاريات: ٥٦ - ٥٨]. وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُهُ وَلَا يَطْعَمُهُ﴾ [الأنعام: ١٤]، والله منزّه عن الظلم للعباد بأن يزيد في سيئاتهم أو ينقص من حسناتهم أو يعاقبهم على ما لم يفعلوا، فإن الظلم لا يفعله إلا من هو محتاج إليه أو من هو موصوف بالجور، أما الله الغني عن خلقه من جميع الوجوه الحكم العدل الحميد، فما له وظلم العباد؟ قال تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]، والله منزّه عن العتب في الخلق والأمر فلم يخلق سبحانه وتعالى شيئاً عبثاً ولا باطلاً، ولا شرع إلا حكمة عظيمة لأنه حكيم حميد، فمن تمام حكمته وحده غتقان المصنوعات وإحكامها وإحكام الشرائع على أكمل وجه وأتمه^(١).

٤ - صفات الله كلها صفات كمال: لا نقص فيها بوجه من الوجوه، كالحياء، والعلم والقدرة والسمع والبصر، والرحمة والعزة والحكمة والعلو والعظمة وغير ذلك، والله عز وجل المثل الأعلى، قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [النحل: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٧]، والمثل الأعلى هو الوصف الأعلى إن الخلق مفطورون على كون الخالق سبحانه وتعالى أجل وأكبر وأعلى. وأعلم وأعظم وأكمل من كل شيء فهذا مستقر في فطر الناس وهو ضروري في حق من سلمت فطرته، فدلالة الفطرة على الصفات واضحة وبينية، فإن كل حادث لا بد له من محدث، وهذا المحدث لا بد أن يكون قادراً، عالماً، مريداً، حكيماً، فالفعل يستلزم القدرة، والإحكام يستلزم العلم، والتخصيص يستلزم الإرادة، وحسن العاقبة يستلزم الحكمة. وفي الفطرة الإقرار لله تعالى بالكمال المطلق، والذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه، وكذلك في الفطرة تنزيه الله عن النقائص والعيوب، ومن القضايا البديهية المستقرة في الفطرة أن الذي يعلم والذي يقدر والذي يتكلم ويبصر أكمل من العادم لذلك، ولهذا يذكر الله تعالى هذه المسألة بخطاب الاستفهام الإنكاري ليبين أنها مستقرة في الفطرة وأن النافي لها قال قولاً منكراً في الفطرة، قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٧]. فالتسوية منكراً في الفطرة وينكر

(١) الحق الواضح المبين لابن سعدي ص ١٠.

ذلك على من سوى بينهما، فالذي ليست لديه صفات كمال، لا يمكن أن يكون ربًّا، ولا معبودًا، وأن العلم بذلك فطري^(١)، كما قال الخليل في قوله تعالى: ﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ [مريم: ٤٢]، وقال تعالى عن عجل بني إسرائيل: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٨].

٥- من لوازم استحقاق الله تعالى لصفات الكمال تفرده بالحكم:

فمن الآيات القرآنية التي أوضح بها تعالى صفات من له الحكم والتشريع قوله: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ١٠]، ثم قال مبيِّنًا صفات من له الحكم: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ فاطر السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الشورى: ١٠-١٢].

ذكر سبحانه وتعالى صفات الرب الذي تفوض إليه الأمور ويتوكل عليه، وأنه فاطر السموات والأرض وخالقها، على غير مثال سابق، وأنه هو الذي خلق للبشر أزواجًا وخلق لهم أزواج الأنعام الثمانية المذكورة^(٢). وأنه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ وأنه: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الشورى: ١٢]، وأنه سبحانه وتعالى: ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الشورى: ١٢]، ويقدر أي بمعنى يضيقه على من يشاء وهو بكل شيء عليم، فعلى المسلم أن يتفقه صفات من يستحق أن يشرع ويحلل ويحرم^(٣).

٦- نفى معاني أسمائه الحسنی من أعظم الإلحاد فيها: ونفى معاني أسمائه الحسنی من أعظم الإلحاد، قال تعالى: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

لأنها لو لم تكن تدل على معاني وأوصاف لم يجوز أن يخبر عنها بمصادرها ويوصف بها

(١) عقيدة المسلمين، صفات رب العالمين ص ١٠٢.

(٢) أضواء البيان (٧/ ١٦٣) بتصرف.

(٣) من عقيدة المسلمين ص ١٤١.

ولكن الله أخبر عن نفسه، بمصادرها، وأثبتها لنفسه، وأثبتها له رسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨]، فعلم أن «القوي» من أسمائه، ومعناه الموصوف بالقوة. وكذلك قوله تعالى: ﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠]، فالعزیز من له العزة، فلولا ثبوت القوة والعزة له لم يسم قويا ولا عزيزا، وهكذا في سائر أسمائه، وحقيقة الإلحاد فيها أي في أسمائه تعالى العدول فيها عن الصواب وإدخال ما ليس من معانيها ومنها:

- أن تسمى بعض المعبودات باسم من أسماء الله تعالى أو يقتبس لها اسم من بعض أسمائه تعالى، كتسمية المشركين بعض أصنامهم «اللات» أخذًا من «الإله» و«العزى» أخذًا من «العزیز» وتسميتهم الأصنام أحيانًا «آلهة» وهذا إلحاد واضح كما ترى لأنهم عدلوا بأسمائه تعالى إلى معبوداتهم الباطلة.

- تسميته تعالى بما لا يليق به، كتسمية النصارى له (أب)، وإطلاق الفلاسفة عليه «موجبًا لذاته» أو علة فاعلة بالطبع ونحو ذلك.

- وصف الله تعالى بما ينزه عنه سبحانه، كقول اليهود، ولعنوا بما قالوا، إنه فقير وقولهم أنه استراح بعد أن خلق خلقه، وقولهم أيضًا غلت أيديهم، يد الله مغلولة، وغير ذلك من الألفاظ التي يطلقها أعداء الله قديمًا وحديثًا.

- تعطيل أسمائه تعالى عن معانيها وهي الصفات وجحد حقائقها، كما فعلت بعض الفرق المبتدعة حيث جعلوا أسماء الله ألفاظًا مجردة لا تدل على الصفات، كقولهم سميع بلا سمع، وعليم بلا علم.

- تشبيه الله تعالى بصفات خلقه^(١).

٧ - آثار الصفات الإلهية في النفس والكون والحياة: ومشهد الأسماء والصفات من أجل المشاهد، والمطلع على هذا المشهد يعرف أن الوجود متعلق خلقًا وأمرًا بالأسماء الحسنی والصفات العلاء، ومرتبطة بها وإن كل ما في العالم بها فيه من بعض آثارها ومقتضياتها.

(١) بدائع الفوائد لابن القيم (١/ ١٦٩).

فاسمه الحميد، المجيد، يمنع ترك الإنسان سدى، مهملاً معطلاً، لا يؤمر ولا ينهى، ولا يثاب ولا يعاقب، وكذلك اسمه (الحكيم) يأبى ذلك، وهكذا فكل اسم من أسمائه له موجبات وله صفات، فلا ينبغي تعطيلها عن كمالها ومقتضياتها، والرب تعالى يحب ذاته وأوصافه وأسماءه، فهو عفو يحب العفو، ويحب المغفرة، ويحب التوبة، ويفرح بتوبة عبده حين يتوب إليه فرحاً لا يخطر بالبال، وكان تقدير ما يغفره ويعفو عن فاعله، ويحلم عنه ويتوب عليه ويسامحه بموجب أسمائه وصفاته، وحصول ما يحبه ويرضاه من ذلك، وما يحمد به نفسه ويحمده به أهل سماواته وأهل أرضه، وما هو من موجبات كماله ومقتضى حمده وهو سبحانه الحميد المجيد، وحمده ومجده يقتضيان آثارهما.

ومن آثارهما، مغفرة الزلات وإقالة العثرات، والعفو عن السيئات والمسامحة على الجنايات مع كمال القدرة على استيفاء الحق، والعلم منه سبحانه بالجناية ومقدار عقوبتها فحلمه بعد علمه وعفوه بعد قدرته، ومغفرته عن كمال عزته وحكمته^(١). كما قال الله على لسان عيسى عليه السلام في القرآن: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]. أي فمغفرتك عن كمال قدرتك، وحكمتك ليست كمن يغفر عجزاً ويسامح جهلاً بقدر الحق، بل أنت عليم بحقك، قادر على استيفائه، حكيم في الأخذ منه، فمن تأمل سريان آثار الأسماء والصفات في العالم وفي الأمر، تبين له أن مصدر قضاء هذه الجنايات من العبيد، وتقديرها: هو من كمال الأسماء والصفات والأفعال وغايتها أيضاً مقتضى حمده ومجده، كما هو مقتضى ربوبيته وإلهيته، فله في كل ما قضاه وقدره الحكمة البالغة والآيات الباهرة والله سبحانه دعا عباده إلى معرفته بأسمائه وصفاته وأمرهم بشكره ومحبته وذكره وتعبدهم بأسمائه الحسنی وصفاته العلى لأن كل اسم له تعبد مختص به، علماً ومعرفة وحالاً. وأكمل الناس عبودية: المتعبد بجميع الأسماء والصفات التي يطلع عليها البشر فلا يحجبه عبودية اسم عن اسم آخر، كما لا يحجبه التعبد باسمه «التقدير» عن التعبد باسمه «الحليم الرحيم» أو يحجبه عبودية اسمه «المعطي» عن عبودية اسمه «المانع»، أو عبودية اسمه «الرحيم والعفو والغفور» عن اسم «المنتقم»، أو التعبد بأسماء «التودد والبر والإحسان واللطف» عن أسماء «العدل والجبروت

(١) مدارج السالكين ص ٤١٧، ٤١٨.

والعظمة والكبرياء» وهذه طريقة الكمال من السائرين إلى الله وهي طريقة مشتقة من قلب القرآن الكريم قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]. والدعاء بها يتناول دعاء المسألة ودعاء الثناء، ودعاء التعبد^(١). وهو سبحانه يدعو عباده إلى أن يعرفوه بأسمائه وصفاته ويثنوا عليه بها ويأخذوا بحظهم من عبوديتها، فالله سبحانه وتعالى يُحب موجب أسمائه وصفاته، فهو «عليم» يحب كل عليم وهو «جواد» يحب كل جواد، «جميل» يحب الجمال، «عفو» يحب العفو وأهله، «حيي» يحب الحياء وأهله، «بر» يحب الأبرار، «شكور» يحب الشاكرين، «صبور» يحب الصابرين، «حليم» يحب أهل الحلم، فلمحبته سبحانه للتوبة والمغفرة، والعفو والصفح خلق من يغفر لهم ويتوب عليهم ويعفو عنهم، وقدّر عليهم ما يقتضي وقوع المكروه والمبغوض له، ليرتب عليه المحبوب له المرضي له^(٢).

وظهور أسماء الله وصفاته في هذه الحياة وفي النفس البشرية وفي الكون كله واضح، لا يحتاج إلى دليل، إلا أن الاهتداء إلى تلك الآثار أو الانتباه لها يتوقف على توفيق الله تعالى، بل إن التوفيق نفسه من آثار رحمته التي وسعت كل شيء، فلو فكر الإنسان في هذا الكون الفسيح وفي نفسه لرجع من هذه الجولة الفكرية بعجائب واستفاد منها فوائد ما كان يحلم بها، ولو تأملنا هذه الآية الكريمة لرأينا أمورًا تعجز عن التعبير عنها قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ [المؤمنون: ١١٥، ١١٦].

ومما يؤكد أهمية هذا التوحيد هو ما تثمره أسماء الله وصفاته في قلب المؤمن من زيادة الإيمان ورسوخ في اليقين، وما تجلبه له من النور والبصيرة التي تحصنه من الشبهات المضللة والشهوات المحرمة^(٣).

فهذا العلم إذا رسخ في القلب أوجب خشية الله لا محالة، فكل اسم من أسماء الله له تأثير في القلب والسلوك، فإذا أدرك القلب معنى الاسم وما يتضمنه واستشعر ذلك،

(١) مدارج السالكين (٢/ ٤١٩).

(٢) المصدر نفسه (٢/ ٤٢٠).

(٣) انظر: دراسات في مباحث الأسماء والصفات ص ١٤، ١٥.

تجاوب مع هذه المعاني وانعكست هذه المعرفة على تفكيره وسلوكه، ولكل صفة عبودية خاصة هي من موجباتها ومقتضياتها، فالأسماء الحسنى والصفات العلى مقتضية لآثارها من العبودية، وهذا مطرد في جميع أنواع العبودية التي على القلب والجوارح، فمثلاً: علم العبد بتفرد الرب تعالى بالضر والنفع والعطاء والمنع والخلق والرزق والإحياء والإماتة يثمر له عبودية التوكل عليه باطناً ولوازم التوكل وثمراته ظاهراً، وعلمه بسمعه وبصره وعلمه أنه لا يخفى عليه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وأنه يعلم السر وأخفى ويعلم خائنة الأعين وما تحفي الصدور يثمر له حفظ لسانه وجوارحه وخطرات قلبه عن كل ما لا يرضي الله، وأن يجعل تعلق هذه الأعضاء بما يحبه ويرضاه فيثمر له ذلك الحياء باطناً، ويثمر له الحياء اجتناب المحرمات والقبائح، ومعرفته بغناه وجوده وكرمه وبره، وإحسانه ورحمته توجب له سعة الرجاء، ويثمر له ذلك من أنواع العبودية^(١) الظاهرة والباطنة بحسب معرفته وعلمه، وكذلك معرفته بجلال الله وعزه تثمر له الخضوع والاستكانة والمحبة، وتثمر له تلك الأحوال الباطنة أنواعاً من العبودية الظاهرة هي موجباتها وكذلك علمه بكماله وجهاله وصفاته العلى يوجب له محبة خاصة بمنزلة أنواع العبودية فرجعت تلك العبودية كلها إلى مقتضى الأسماء والصفات وارتبطت بها^(٢)، وهذه الأحوال التي تتصف بها القلوب: هي أكمل الأحوال، وأجل وصف يتصف به القلب وينصغ به، ولا يزال العبد يمرن نفسه عليها حتى تنجذب نفسه وروحه بدواعيه منقاداً راغبة وبهذه الأعمال القلبية تكمل الأعمال البدنية. نسأل الله أن يملأ قلوبنا من معرفته ومحبته والإنابة إليه، فإنه أكرم الأكرمين وأجود الأجودين^(٣).

خامساً: أثر الصفات الإلهية على الأخلاق:

تحدث الشيخ عز الدين بن عبد السلام في كتابه شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال عن صفات الله وكيفية توحيده وتنزيهه والوجه الأسلم في ذلك، وكيفية التخلق بصفات الله عز وجل، فقال:

(١) مفتاح السعادة (٢/ ٩٠).

(٢) المصدر نفسه (٢/ ٩٠).

(٣) القواعد الحسان لتفسير القرآن للسعدي ص ١٣٠.

١- التخلق بالقدوس: فقال: القدوس هو الطاهر من كل عيب ونقصان وثمره معرفته: التعظيم، والإجلال والتخلق به بالتطهير من كل حرام ومكروه وشبهة، وفضل مباح شاغل عن مولاك.

٢- التخلق بالسلام: إن أخذ من تسليمه على عباده فعليك بإفشاء السلام، فإنه من أفضل خصال الإسلام، وإن أخذ من السلامة من العيوب، فهو كالقدوس، وإن أخذ من الذي سلم عباده من ظلمه، فليسلم الناس من غشك وظلمك وضررك وشرّك، فإن المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده.

٣- التخلق بالإيمان: «المؤمن»: إن أخذ من تصديق الله نفسه فعليك بالإيمان بكل ما أنزله الرحمن، وإن أخذ من أمانه العباد من ظلمه فأظهر من برك وخيرك ما يؤمن الناس من شرك وضررك، وإن أخذ من خالق كل أمن فاسع لعباد الله من كل أمن^(١).

٤- التخلق بالهيمنة: المهيمن: هو الشهيد، فإن أخذ من مشاهدته لعباده وعليهم في القيامة، فثمره معرفته خوفك وحيائك من شهادته عليك إن عصيته، ورجاؤك شهادته لك إن أطعته، والتخلق به أن تقوم بالشهادة في كل ما نفع وضرر، وساء وسرّ، ولو على نفسك أو الوالدين والأقربين.

٥- التخلق بالعزة: «العزیز»: إن أخذ من الغلبة فهو كالقهار وثمره معرفته الخوف وإن أخذ من الامتناع من الضيم فلا تخلق به إلا في بعض الضيوم، كضيم الكفار الفجار، وإن أخذ من الذي يعز وجود مثله فهو سالب للنظير، فلا تخلق به إلا بالتوحد بالطاعة والعرفان على حسب الإمكان، بالنسبة إلى أبناء الزمان^(٢).

٦- التخلق بالجبر: «الجبار»: إن أخذ من جبروت العظيم والفقير، إذ أصلحتهما فثمره معرفته رجاء جبره وإصلاحه والتخلق به، بأن تعامل عباده بكل خير وإصلاح تقدر عليه، أو تصل إليه، وإن أخذ من العلو فهو كالعلي، وثمره معرفته كثرات معارف جميع الصفات، وإن أخذ من الإجبار فهو كالقهار^(٣).

(١) شجرة المعارف ص ٣٩.

(٢) المصدر نفسه ص ٣٩.

(٣) المصدر نفسه ص ٣٩.

٧ - التخلق بالتكبر عن الرذائل: «المتكبر»: إن أخذ من تكبره عن النقائص فهو كالقدوس، فتكبر عن كل خلق دنيء، وإن جعل شاملاً لجميع الأوصاف فثمره معرفته الإجلال والمهابة في جميع الأحوال الحادثات من سائر الصفات، وكذلك العظيم والجليل والعلي والأعلى^(١).

٨ - التخلق بالحلم: «الحليم»: هو الذي لا يعجل بعقوبة المذنبين، فاحلم عن كل من آذاك وظلمك وسبّك، وشتمك، فإن مولاك صبور حليم، برّ كريم، يقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون.

٩ - التخلق بالصبر: «الصبور»: هو الذي يعامل عباده معاملة الصابرين، فعليك بالصبر على أذية المؤذنين وإساءة المسيئين فإن الله يحب الصابرين^(٢).

١٠ - التخلق بالإعزاز: «المعز»: خالق العزّ وثمره معرفته الطمع في إعزازه بالمعارف والطاعات والتخلق به، بإعزاز الدين ومن تبعه من عباد الله المؤمنين.

١١ - التخلق بالإذلال: «المذل»: خالق الذلّ وثمره معرفته خوف الإذلال بالمعاصي والمخالفات، والمعاملة به بإذلال الباطل وأشياءه وإخمال العُدوان وأتباعه^(٣).

١٢ - التخلق بالانتقام: «المنتقم»: هو المعذب لما يشاء من عباده عدلاً، وثمره معرفته الخوف من انتقامه والتخلق به لمن ابتلي بشيء من الولايات بالانتقام من الجناة بالحدود، والتعزيرات والعقوبات المشروعات^(٤).

١٣ - التخلق باللطف: «اللطيف»: إن أخذ من معرفة الدقائق فثمره معرفته خوفك ومهابتك وحيائك من معرفته، بدقائق أحوالك وخفايا أقوالك وأعمالك إذ لا يعزب عن خالق الأشياء مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

(١) شجرة المعارف ص ٣٩.

(٢) المصدر نفسه ص ٣٩.

(٣) المصدر نفسه ص ٤١.

(٤) المصدر نفسه ص ٤٣.

١٤ - التخلق بالشكر: «الشكور»: إن أخذ من ثنائه على عباده، فثمرة معرفته رجاؤك الدخول في مدحته بطاعته ومعرفته والتخلق به بشكر مولاك وشكر أبويك وشكر كل من أحسن إليك^(١)، من لا يشكر الناس لا يشكر الله^(٢).

١٥ - التخلق بالحفظ: «الحفيظ»: إن أخذ من العلم فقد سبق، وإن أخذ من ضبط الأشياء وحفظها فثمرة معرفته رجاؤك حفظه في أولادك وأخراك والتخلق به بحفظ ما أمرت به من الطاعات والأمانات، فإن الله قد مدح الحافظين لحدوده، وبشّرهم بإنجاز وعوده فقال: ﴿هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيزٍ﴾ [ق: ٣٢].

١٦ - التخلُّق بالتقديم والتأخير: «المقدم والمؤخر»: ثمرة معرفتها المهابة والإجلال والاعتماد عليه في تقديمه وتأخيرهِ ورجاء أن يُقدِّمَكَ بطاعته، وخوف أن يؤخِّرَكَ بمعصيته، والتخلق بهما بتقديم ما أمرت بتقديمه وتأخير ما أمرت بتأخيرهِ، بأن تقدم الأمثال على الأراذل، وأن تقدم الطاعات على واجبها، وأفضلها على فاضلها، ومضيّقها على موسعها، وبأن تقدم القُرْبَات والطاعات إلى أوائل الأوقات، فإن الله مدح الذين يسارعون في الخيرات^(٣).

١٧ - التخلق بالبرِّ: (البرِّ): هو المنعم، وثمره معرفته رجاء أنواع برِّهِ، والتخلق به بأن تبرَّ كُلَّ من تقدر على برِّهِ بأحبِّ أموالك إليك وأنفسها لديك، فإنَّ مولاك يقول: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢].

١٨ - التخلق بالتوبة: «التَّوَابُ»: إن جعل بمعنى الموفق للتوبة فثمره معرفته رجاء توبته عليك، والتخلق به بأن تحثَّ المسيء على التوبة وتحرضه على الأوبة، وإن جعل بمعنى قابل التوبة، فاقبل عذر من أساء إليك وندم على جرأته عليك^(٤).

١٩ - التخلق بمعنى المغني: والتخلق به بأن تُغني كُلَّ محتاج بما تقدر عليه من علم وغيره، فتذكر الغافل، وتعلم الجاهل، وتُقيم المائل وتُسيِّر العائل.

(١) شجرة المعارف والأحوال ص ٤٥.

(٢) سنن أبي داود رقم ٤٨١١.

(٣) شجرة المعارف ص ٤٥.

(٤) المصدر نفسه ص ٤٧.

٢٠- التَّخْلُقُ بِالضَّرِّ وَالنَّفْعِ: «الضَّارُّ وَالنَّافِعُ»: ثمرة معرفتهما خوف الضَّرِّ ورجاء النفع والتخلق بهما بنفع كل من أُمِرَ بنفعه وضُرَّ كُلٌّ من أُمِرَ بضره بحد أو قتل أو غيره، والخلق عيال الله، فأحبهم إليه أنفعهم لعياله، فعليك ببذل المنافع لكلِّ دان وشايع^(١).

٢١- التَّخْلُقُ بِهَدَايَةِ الضَّالِّ: النور الهادي: ثمرة معرفتهما رجائك أن ينور جَنَانُكَ بمعرفته ويزين أركانك بآثار هدايته، والتخلق بهما بأن تكون نورًا من أنوار الله، هاديًا إلى صراط الله. فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من أن تكون لك حُمُرُ النَّعَمِ^(٢).

٢٢- التَّخْلُقُ بِالْقَبْضِ وَالْبَسْطِ: «الْقَابِضُ الْبَاسِطُ»: ثمرة معرفتهما الخوف من قبض منافع الدنيا والآخرة، ورجاء بسط الخيرات العاجلة والآجلة، والتخلق بالبسط بأن تسبِّط برك ومعروفك على كل محتاج حتى على الدواب والكلاب والذَّرَّ، إذ في كل كبد رطبة أجر^(٣). والتخلق بالقبض بأن تقبض عن كل أحد ما ليس له أهلاً، من مال وولاية وعلم وحكمة، فلا تَوَثُّوا السفهاء أموالكم فيتلفوها^(٤).

٢٣- التَّخْلُقُ بِبَذْلِ الْهَبَاتِ: «الْوَهَابُ»: ثمرة معرفته رجاء أنواع هباته وصلاته، والتخلق به بكثرة الهبات والصلوات مُقَدِّمًا لِلْأَبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ، وَالْبَنِينَ وَالْبَنَاتِ.

٢٤- التَّخْلُقُ بِالْجُودِ وَالْكَرَمِ: «الْجَوَادُ الْكَرِيمُ»: ثمرة معرفتهما الطمع في آثار جوده وكرمه والتخلق بهما لمن أراد الوصول إليه بأن تجود بكل ما تقدر عليه من مال وجاه وعلم وحكمة وبر ومساعدة.

٢٥- التَّخْلُقُ بِالْإِجَابَةِ: «الْمُجِيبُ»: ثمرة معرفته رجاء إجابة دعائك لعلمه بافتقارك إليه واعتمادك عليه، وأنه سامع لدعائك عالم ببلائك، خابر لسرائك وضرائك، والتخلق به بإجابة مولاك فيما دعاك إليه من قُرْبَاتِهِ، وإجابة كل داع إلى ما يُرْضِي مولاك في طاعته وعبادته^(٥).

(١) شجرة المعارف ص ٤٨.

(٢) البخاري رقم ٢٩٤٢.

(٣) البخاري رقم ٢٣٦٣.

(٤) شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال ص ٤٩.

(٥) شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال ص ٤٩.

٢٦- التخلق بالمجد: «المجيد»: الذي كثر شرفه، وتمّ كماله وجلاله في ذاته وصفاته، وثمرة معرفته المهابة والإجلال والتخلق به يمكن التخلق به مما سبق ذكره، فإنه شامل لجميع الصفات كما شملها ذو الجلال والإكرام، فهذه إشارات إلى كيفية التخلق بالصفات ولا يحصل التخلق بالصفات إلا لمن واطب على التحديق إليها، والإقبال عليها، ولذلك أمرنا الله تعالى بإكثار ذكره لتلابس ما يثمره ذكره من الأحوال والأقوال والأعمال^(١).

سادساً: وصف الله نفسه بالمغفرة لا يعني الإسراف في المعاصي:

وصف الله سبحانه نفسه بأنه غفار وغفور للذنوب والخطايا والسيئات لصغيرها وكبيرها، وحتى الشرك إذا تاب منه الإنسان واستغفر ربه قبل الله توبته وغفر له ذنبه، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ كُلِّهَا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠].

ومهما كبرت ذنوب هذا الإنسان فإن مغفرة الله ورحمته أعظم من ذنوبه التي ارتكبتها، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ [النجم: ٣٢]، وقد تكفل الله سبحانه بالمغفرة لمن تاب وآمن، قال تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢]، ومن فضله وجوده وكرمه تعهد أن يبدل سيئات المذنبين إلى حسنات ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٧٠].

ولكن لا يجوز للمسلم أن يسرف في الخطايا والمعاصي والفواحش بحجة أن الله غفور رحيم، فالمغفرة إنما تكون للتائبين الأوابين، قال تعالى: ﴿إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٥]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النمل: ١١].

فاشترط تبدل الحال من عمل المعاصي والسيئات إلى الصالحات والحسنات لكي تتحقق المغفرة والرحمة، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: ٤٨]، يبين الله أن المقيم على الشرك حتى الوفاة لا غفران لذنوبه لأنه لم يبدل حسناً بعد سوء وكذلك قوله

(١) المصدر نفسه ص ٥٠.

تعالى عن المنافقين: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾

[المنافقون: ٦].

لأنهم لم يخلصوا دينهم لله ولم يصلحوا من أحوالهم، وأما إذا حصل ذلك فإن المغفرة تحصل لهم مع المؤمنين، قال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٤٦]، فلا بد من الأخذ بالأسباب المؤدية إلى المغفرة، وأما إن مات وهو مقيم على الكبائر من غير أن يتوب، فإنه ليس له عهد عند الله بالمغفرة والرحمة، بل إن شاء غفر له وعفا عنه لفضله وإن شاء عذبه في النار لعدله ثم يخرج به برحمته وشفاعة الشافعين من أهل طاعته ثم يدخله الجنة وذلك للموحدين خاصة^(١).

(١) النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى ص ١٥٠، ١٥١، شرح الطحاوية ص ٤١٦-٤٢١.